جَمَالُ الجَرْسِ القُرآنِيِّ

د. تحسين فاضل عباس
جامعة الكوفة - كلية الآداب

فحوى البحث

يثبت البحث ان النص القرآني حقق اقصى درجات الجمال الصوتي في جودة السبك والتناسق في الايقاع الموسيقي الناشئ من تخير الالفاظ ونظمها في نسق خاص.

وقد جاء البحث ضمن ثلاثة مباحث هي:

١.مفهوم الجمال والجرس في اللغة والاصطلاح.

٢.الاداء الصوتي في التعبير القرآني.

٣.الفاصلة، مكوناتها وعلاقاتها بالاصوات.

واختتم باهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

المقدمة:

الجمال: أمر يؤدي إلى الفحص والتأمل، ويبعث عنصر التفكير والتأويل لعناصر هذا الجمال، فهو حالة استكشافية لماهيته ليبرّز عندنا مواطن الذوق والحس المرهف والفهم، وهو الفاصل بين الحسن والقبح، والجيد والرديء، ليفجّر عند المتلقي طاقاته الكامنة ويسبر أغواره ليخرج الدرر من أعماقه، فإذا به يبعث البهاء والبهجة عنده من خلال منظومة تفاعلية بين الطرفين -المؤثِّر والمؤثَّر فيه- ينسجها التوافق والأتساق بين أطراف العنصر الجمالي، حتى يجعل المتلقي عنصرا فاعلا في عالم الإبداع والتلاحم والسبك الجيد، ليؤثر في عاطفته وإحساسه، ويجذبه إليه، ليعيش الجمال بعناصره تلك في كل زمان ومكان.

والفن القرآني حقق عنصر الجمال من ناحية تأثيره العاطفي والنفسي في المتذوق والمتلقي أيما تأثير وتحريكه إياه لمواطن الذوق والاستخراج لمبنى الصورة الجمالية ومعناها، على وفق قدراته، بل يجعله يرتقي أكثر فأكثر في سلّم النقد الأدبي الإبداعي لوجود الثراء في تلك الصورة.

لقد نزل القرآن بلسان العرب، والعرب أمة شفاهية تعتمد على السمع لا على النظر في إثبات المعلومة، لذا اهتموا بالشعر لأن حفظه أسهل من النثر، حتى وصفت بأنها أمة شاعرة، والنثر دخله السجع للغاية نفسها، لوجود الإيقاع والموسيقى فيهما، فكانوا على قدر عالٍ من الخبرة والمهارة في التوافق الصوتي للمفردات.

المبحث الأول:

مفهوم الجمال والجرس في اللغة والاصطلاح:

يبقى للذوق والفهم والإدراك أهميته في تحديد مواطن الجمال، فقد سئل النبيﷺ: ((فيم الجمال؟. فقال: في اللسان، يريد البيان))[1]، والبيان ((اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى))[2].

ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) أن اللفظ العالي يردّ إلى

(١) العمدة: ١/ ٣٨٢.
(٢) البيان والتبيين: ١/ ٧٦.

جرس الحرف وصوته من حيث أنه ((حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخَلُوبٌ رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، والى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضلٍ يقتدحه العقل من زِناده))[٣]، وهذا لا يكفي فعلاقة ((الجرس بحقيقة الجمال لا تذكر في حسن الصوت فحسب، وإنما فيما يثيره هذا الصوت المسموع من انفعال ذاتي للإنسان؛ لأن أثر الكلمة الملفوظة لا يتحدد في إثارة حاسة السمع، وإنما في إثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان أيضا))[٤].

والصوت مظهر الانفعال النفسي، الذي هو سبب في تنويع الصوت بحسب الحالة النفسية لمنتج النص، فيخرج الصوت مدا أو لينا أو شدة، وما إلى ذلك مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى[٥].

ولفظة الجرس تعني الصوت المقطع بنظام[٦]، ويقصد به الكلمة الانجليزية (Noise) فهو ((أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على الخشب أو الطبلة، وكالاصطدام وضجيج حركة المرور وما يسمع نتيجة سقوط جسم على آخر وحك جسم بجسم وهلم جرا))[٧].

ويكمن جمال الجرس في اللفظة المفردة من تجنب ما ثقل، ولا يجمعون بين حرفين من مخرج واحد أو مخرجين متساويين، وإذا اجتمعا حصل الإدغام، والتنافر في المخارج الصوتية سببه البعد والقرب الشديدين في مخارج الحروف في التأليف، وخفة الحركات وثقلها، وطول اللفظة وقصرها. أما الجمال الصوتي في الألفاظ المركبة فيحصل في الملاءمة للمعاني التي تليها، و البعد عن الوحشي والغرابة، والاتصاف بالجزالة والسلاسة[٨].

لقد حقق النص القرآني أقصى درجات الجمال الصوتي في جودة السبك، والتناسق

(٣) أسرار البلاغة: ١٥.
(٤) جرس الألفاظ ودلالتها: ٣١٠.
(٥) ينظر: تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٢٦.
(٦) ينظر: فن القول: ٢٠٣.
(٧) مناهج البحث في اللغة: ٥٩.
(٨) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها: ١٤٦ فما بعدها: ١٥٧ فما بعدها: ١٦٢ فما بعدها: ١٩٠ فما بعدها.

بين الأجراس و((الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص. ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن، وعميقة كل العمق في بنائه الفني، فإن حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري؛ ولم يرتقِ إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق))[٩]، فالحرف ((الواحد من القرآن معجز في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة؛ وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازا أبديا))[١٠].

صرح القرآن الكريم بأنه نزل بلسان العرب، ولكنه انفرد بأسلوب جديد((لأنه ليس وضعاً إنسانياً البتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة إنسان ليشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم))[١١]، فرأوا ((جنساً من الكلام غير ما تؤديه طباعهم))[١٢]، فجاء القرآن الكريم بفن جديد فلا ينطبق عليه حد الشعر المتمثل بالقافية، فجاء بالفاصلة القرآنية، ذات الأسلوب المتحرر من هذا القيد، الموافقة للدلالة والسياق ليعطي نظماً متآلفاً بين المبنى والمعنى، فحقق الجمال والكمال وحقق التأثير، وملك قلوب العرب وعقولهم، ونقل عقائدهم من حال إلى حال، كاستماع عمر بن الخطاب لسورة طه، أو عتبة بن ربيعة، وغيرهما.

ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الإنساني فكان إدراكه للجمال والحسن في تخاطيطه وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته فيلهج كل إنسان بالحَسَن من المرئي والمسموع بمقتضى الفطرة، والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة في الصفات والمخارج.

والتناسب في الكيفيات أو الصفات الصوتية هو تلاؤم يوجب لها الحسن،

(٩) التصوير الفني في القرآن: ٧٢.
(١٠) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٢١.
(١١) م. ن: ٢/ ٢١٢.
(١٢) م. ن.

وينبغي أن لا يخرج من الصوت إلى مدة دفعة بل يتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا. وتناسبها في الأجزاء فيخرج من الصوت إلى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب التناسب[١٣].

والقرآن الكريم نص لغوي يمثل نصاً محورياً في تاريخ الثقافة العربية، والنص بمفرده لا ينشئ حضارة ولا يقيم ثقافة. إنّ الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النص من جهة أخرى.

وللقرآن في حضارتنا أثر ثقافي لا يمكن تجاهله في تشكيل ملامح هذه الحضارة. وإذا صح لنا أن نختزل الحضارة ببعد واحد لصح أن نقول إنّ الحضارة المصرية القديمة هي حضارة (ما بعد الموت)، وأن الحضارة اليونانية هي حضارة (العقل)، أما الحضارة العربية الإسلامية فهي حضارة (النص). إنّ البحث في مفهوم النص يكمن في ماهية (القرآن) وطبيعته بوصفه نصاً لغوياً. فهو كتاب العربية الأكبر، وأثره الأدبي الخالد، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس[١٤].

وقف العربي أمام القرآن الكريم يحمل خصالاً متعددة منها الحيرة، والتعجب من نظمه، والتذوق لأسلوبه، والعجز، بعدما تحداهم بأن يأتوا بمثله وهم أساطين البلاغة، الذين عرفوا بذلاقة اللسان وحسن البيان وروعته، حتى أن الوليد بن المغيرة بعد سماعه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، قال مقولته المشهورة: ((والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق[١٥]، وإنه يعلو وما يعلى))[١٦].

(١٣) ينظر: تاريخ ابن خلدون: ١/ ٥٣٤.

(١٤) ينظر: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: ٩-١٠.

(١٥) أغدق المطر: كثر قطره، وأسفله أول ما يكون منه، وأعلاه ما ينتهي إليه منه، والمراد أن بدايته يتبعها كثير. ينظر: لسان العرب(غدق).

(١٦) مناهل العرفان: ١/ ١٥٠.

المبحث الثاني:

الأداء الصوتي في التعبير القرآني:

إنّ دراسة القرآن الكريم دراسةً صوتيةً لها جانب البداية والأولوية في دراسة الإعجاز القرآني، فاللغة عند العرب أصوات فهي المادة الأولية في نشوء أي نتاج كلامي وتركيبي. والصوت والدلالة يجتمعان في تخطيط المنهج واتجاه النص، بحسب ذكاء المبدع أو المنشئ له.

إنّ جمال القرآن اللغوي يتمثل في رصف حروفه، وترتيب كلماته، الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقة، والجهر والخفية، على وجه دقيق محكم، وُضع كل من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه، بميزان حتى تألف من المجموع أساليب تعبير امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة، برقة الحضارة من غير ميوعة. ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى القرآن[١٧].

ففي قوله سبحانه تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [سورة المزمل: ١٤]، سوف نحسّ صورة للهول واضحة في الآية، ولكن بأية أدوات عبر عنها، فلو أدخلنا الأدوات هذه (الأصوات) في مختبر تحليلي نجد الفعل (تَرْجُفُ) مكونا من صوت انفجاري(التاء)، و(الراء) الذي وصف بالتكرار، أي له الإمكانية في تكرار الحدث، و (الجيم) الصوت المجهور والانفجاري، الذي يضاعف فيه قوة الصوت وشدته، مشفوعاً بخاتمة (الفاء) الصوت الاحتكاكي المسموع، فحقق موازنة وانتقالا من الشدة إلى الرخاوة، أو الإظهار والانتشار عن طريقه. إذ عدّه بعض القدماء من أصوات التفشي، أي إن الفاء قد حقق نشراً للصورة المرعبة.

فنجد صورة مخيفة نبعت من ينابيع صوتية حققت لها ما تريد إثباته للمتلقي، ومن الممكن التجديد لها من خلال الصيغة الفعلية (ترجف)، ومَنْ الذي يرتجف؟. إنها صورة عظيمة في ثبات الأرض والجبال، ثم هذا الطود الشامخ (الجبل) أصبح (مهيلاً) وهو ((الذي لا يثبت مكانه

(١٧) ينظر: م.ن: ٢/ ٢٢٥.

حتى ينهال فيسقط... وشبهه بالرمل في كثرته))[١٨] ثم نتأمل في العلو والانخفاض في الرفعة من صورة الجبال الشامخة إلى أن أصبحت (مهيلاً) فعبر عن صورة الذوبان هذه بالميم الصوت الشفوي المجهور الذي له علو صوتي، ثم الهاء الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس: فنلاحظ الانتقال والانسجام في المخارج الصوتية، ثم أنّ الهاء صوت (مهتوت) لضعفه وخفائه ثم تبعه الياء الذي يشاركه بالخفية (لاتساع المخرج الصوتي فيهما).

فالظاهر تحقق أمرين: الأول: أن الهاء والياء أسهمتا في وضوح الصورة النازلة و كأن الجبل الشامخ وقع في منخفض سريع. الثاني: احتواء هذه الصورة السريعة من خلالهما؛ فمن الملاحظ أن القرآن الكريم يستعمل الأصوات التي تنسجم مع المعنى المعين، فكأن تلك الأصوات أصبحت عاملاً مساعداً في إضفاء جو مقصود من نوع خاص، من حزن أو سعادة أو انشراح أو ضيق أو عذاب أو فوز، وما إلى ذلك، الذي ينبع من صفة الصوت ومن ثم يصب في خدمة المعنى، نحو قوله تعالى﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾[سورة طه: ٢٥ -٢٦]، وبالإحصاء الرقمي في الأصوات الموجودة في الآيتين نجد أن أكثر الأصوات المكررة والمستعملة هي الراء (وردت خمس مرات)، ثم الصائت الطويل (الياء) أو صوت المد (ورد أربع مرات).

فنجد مقام الآيتين مقام الطلب من المخلوق إلى الخالق وغايته يريد المتكلم تحقيق طلبه والاستجابة له، فبأي أدوات عبّر عنها، نجد سيادة استعمال الراء فيها، الذي تحس عند النطق به وجود التضعيف فكأن هذا الصوت كان أداة لِكُنْه الإلحاح في طلبه، ثم صوت المد الذي يعطي كبر مساحة صوتية في الطول المعبر عن ذلك الطلب، فالطلب كبير يحتاج إلى وعاء كبير فالمناسب له هو صوت المد بإعطائه فسحة زمانية.

ونجد كذلك في تكرار (الراء) بإضفاء جو معين في قوله سبحانه﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن

(١٨) لسان العرب (هيل).

﴿تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[سورة آل عمران: ٢٧]، فجمعت الآية في الأضداد: الليل والنهار، الحي والميت، وتحول الضد من شيء إلى آخر أمر ليس بالسهل فهو عمل كبير، فالآية تعطي دلائل على عظمة الخالق وقدرته على فعل الصعب في أي وقت يشاء بدوران الأرض حول الشمس، ثم تعدد الفصول و يتغير الليل والنهار في طولهما، ومن قدرته العجيبة خروج الشجرة من النواة، أو خروج النواة من الشجرة.

تلك عملية مستمرة عبر عنها الله تبارك وتعالى بتكرار لفظة (تولج)، و(تخرج) في الآية أربع مرات، فضلاً عن شيوع (صوت الراء) في أغلب المقاطع الذي يتصف بالتكرار، وبالضربات المتلاحقة، وبحسب ذلك تحقق الانسجام بين الأدوات الصوتية وجو الآية.

ويستعمل القرآن الكريم صوت (الكاف) الشديد أو الانفجاري في توافق بين الصوت والمعنى العام للنص كقوله سبحانه على لسان النبي موسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٥٤]، المقام مقام تأنيب من النبي لقومه بعبادتهم الوثن (العجل)، وفيه ظلم لأنفسهم من فعلهم وفيه إيماء إلى عظم جرمهم هذا: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ وفيه دعوة إلى قتل من ارتد عن دينه إلى عبادة العجل من قبل من بقي على الإيمان.

ومن ثَمَّ إضفاء النعمة على بني إسرائيل بعد القتل الذي وصل إلى سبعين ألفا، وهي نعمة الصفح عن جرمهم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١٩].

فنجد جو الآية مشحون بالتوتر وتفرعاته من تأنيب وغلظة وقتل ومن ثم توبة، فنلاحظ شيوع (الكاف) في الآية وما له من ثقل الحدث وعظم الجريمة، بإحداثه رنة إيقاعية قوية تهز النفس، لتبين واقع تلك النفوس.

وكذلك نجد الأصوات الحادة

(١٩) ينظر: تفسير الطبري: ١/ ٣٢٥ تفسير ابن كثير: ١/ ١٣٥، التفسير المبين: ١٤.

في إيقاعها تحوي الجو العام الشديد والقوي، فتصير وعاءً له، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[سورة الأعراف: ١٦٠]، فقد تكرر صوتا (السين) في الآية ثماني مرات، و(الميم) ثماني عشرة مرة، وهيمنة وجودهما جاء ليعبرا عن جلل الأمور وعظمها الموصوفة من تفريق بني إسرائيل إلى قبائل شتى، وانفجار الماء من الحجر، وجعل السحاب يقيهم من حر الشمس، وثقل نعم الله على هؤلاء القوم، فالسين صوت صفيري، أي فيه حدة، تنتج من الاحتكاك الشديد فجاء علو صوت (السين) في الحدة لينسجم مع إظهار المعنى الكبير بعظمة تلك الأمور الدالة على قدرة الله تعالى، والميم الذي يتصف بالارتفاع الصوتي بسبب جهره، والوقفة غير الانفجارية لأنه يصحبه مرور الهواء من الأنف، فأدّى الصوتان وظيفتهما خدمة للمعنى الشامل.

وفي قوله عز من قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[سورة آل عمران: ١٢] فالآية بمثابة شن حملة قوية على الكفار فَعبّأ لهذه الحملة أدوات تتناغم مع كبر الحدث، وهي الهزيمة التي تنتظرهم، ومسكنهم المكان المخيف (جهنم)، وبئس القرار والمهاد، فالأدوات الصوتية ومعنى الآية صرختان منسجمتان كل منهما يقوي الآخر ليعطوا وصفاً مناسباً.

إنّ في الآية أكثر من نغمة خوف جاءت متلبسة بأصوات متوافقة معها، تبدأ بـ(قُل) المكونة من القاف واللام، فالأول يحمل صفة الشدة والانفجار بسبب الانحباس الحاصل، ثم دُعِم من اللام الصوت المجهور الذي يقوم باهتزاز الوترين الصوتيين فيؤدي صوتاً واضحاً عالياً أو الذي يمنع النفس من الجريان به، فاجتماع هذين الصوتين بهذه الصفات

الغليظة إنما هو بداية لدخول معنى شديد وغليظ.

فنلاحظ علو رنين الأحداث الانفجارية من استعمال القاف مرة، والتاء مرتين، والكاف مرة، والهمزة مرتين، والجيم مرة، والدال مرة، والباء مرتين، ثم ختم الله سبحانه هذه الغلظة بلفظة (بئس) المتكونة من صوتين شديدين، والثالث المتمثل بالحدة. ثم اختار لهذا العالم أعلى الأصوات وضوحاً للمعنى وهي الصوائت الطويلة:-ياء مرة، واو ثلاث مرات، والألف مرة، فضلاً عن الصوائت القصيرة.

ونجد في السور القرآنية الخاصة بتصوير يوم القيامة، اختيار الأصوات القوية والانفجارية والصفيرية من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة الزلزلة: ١ -٦].

فعند قراءتك لهذه المقاطع تجد أنك تهتز لاهتزاز الحدث العظيم وتضطرب لاضطراب الكوكب الذي سوف يتحول إلى كيان اهتزازي غير مستقر بعد أن كان الاستقرار صفة ملازمة له، على مر السنين الطوال. فكيف تأثرتَ بالصورة؟. وما الرابط الذي مدّ جسور التواصل العاطفي والفكري بينك وبين هذه الجمل؟. إنه الجرس (الصوت)، فهو آلة اللفظ وبه تتألف الجملة فهو المادة الخام لتكوين الكلام والقول ((والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً وكلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت))[٢٠]، لذلك من يريد معرفة الإعجاز وكنه القرآن عليه الوقوف أولاً عند الصوت فالقرآن الكريم ((وجَّهَ اهتمام العرب -منذ وقت مبكر -ولفت نظرهم إلى ضرورة الإفادة من الزخم الصوتي في اللغة العربية وهو يستهل بعض السور القرآنية بجملة محددة من الحروف الهجائية))[٢١].

(٢٠) البيان والتبيين: ١/ ٧٩.
(٢١) الصوت اللغوي في القرآن: ٨٣.

إنّ الانسجام والتوافق قائم بين العربية والقرآن، فالعربية في طبيعتها تقوم على التوازن ((في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات))[٢٢]، والقرآن الكريم قام على هذا الانسجام والتجانس في الأصوات، وأول إشارة له (ألم) بدءاً من أقصى الحلق المتمثل في (الهمزة)، ووسط الحلق (اللام)، والنهاية في الشفتين (الميم).

فسورة الزلزلة أنموذج من نماذج التوافق بين الأصوات والمعنى. وكانت البداية ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ إيذاناً لما بعدها من تصوير مخيف ومروع ليوم القيامة. وعند تحليلنا للأصوات الأكثر ظهوراً وبروزاً في تلك الآية اللام (٥ مرات)، والزاي (٤مرات)، فاللام ((صوت شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت))[٢٣]. فهو صوت اختص بـ(الانحراف) للاستعداد بالنطق بالصوت الذي يليه. وبعده (الزاي) في (زلزل) وكأن الزاي يطلب اللام، واللام يطلب الزاي في اتحادهما في الشدة والجهر، ويعضد ذلك الرنين القوي صفير الزاي مما يزيد الإيقاع ضخامة ووضوحاً، ومن ثم إيجاد جو مناسب للمعنى والسياق. ثم يختم صورة الآية الأولى مع الآيات الأخرى (بالألف)، الذي هو أعلى الصوائت الطويلة مداً وسمي (بالهاوي) لعدم وجود أي حائل يعترضه. فهذا النفس الجاري والمد العالي إنما يساعد على زيادة وضوح الصورة.

ويستمر المشهد الذي يخيف القلوب بالتعبير عنه بالأصوات الانفجارية، والأبرز فيه شيوع الهمزة: (أَخرَجَتِ، الأَرضُ، أَثقَالَهَا، الإِنسَانُ، يَومَئِذٍ، أَخبَارَهَا، أَوحَى، يَومَئِذٍ، أَشتَاتاً، أَعمَالَهُم)، فالهمزة تتكون بانطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما، ثم يحصل انفراج فيهما فيخرج الهواء فجأة محدثا صوتا انفجاريا. فزاد هذا

(٢٢) بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب: ٢٧ -٢٨ نقلا عن خصائص العربية: ١٦.

(٢٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٥.

الصوت الصورة شدة وصعوبة.

ومن أمثلة تقديم اللفظ الخفيف على الثقيل قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[سورة الأعراف: ١٣٣]، ((فإنها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ (الطوفان، والجراد، والدم) وأثقلها (القمل، والضفادع) فقدم الطوفان بمكان المدّين فيها، حتى يأنس اللسان بخفتها؛ ثم الجراد، وفيها كذلك مدّ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً بأخفهما في اللسان وأبعدهما في الصوت، لمكان تلك الغُنّة فيه، ثم جيء بلفظة (الدم) آخراً، وهي أخف الخمسة وأقلها حروفاً، ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النظم ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب))[٢٤].

ونجد في مواضع غير الشدة يستعمل القران الكريم الأصوات اللينة والمهموسة، ولاسيما في تصويره معالم الطبيعة والكون، من ذلك قوله عز من قال: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [سورة التكوير: ١٥ -١٨]، نلمس كبر مساحة السين في هذا المقطع التصويري الفني موازنة بالأصوات المكونة لهذه الآيات الثلاث.

فالسين هنا احتوت المعالم الكونية والطبيعية بما ينسجم مع وجودها وصفاتها الخاصة، فالسين من الأصوات المهموسة، والهمس ((عام في كل شيء له صوت خفي))[٢٥]، والخفاء والظهور موجود في: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ وهي ((النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل))[٢٦]، السين فيه همس ورخاوة، أي امتداد الصوت معه[٢٧]، ونجد استمرار هذه الظواهر الكونية وديمومتها وامتدادها، ومثله: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[سورة التكوير: ١٧-١٨] كناية عن آخر الليل، والصبح يتنفس من كابوس الليل فيطلع ويضيء.

(٢٤) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٤٧.

(٢٥) لسان العرب (هسس)، وتفسير القرطبي: ١١/ ٢٢٠.

(٢٦) تفسير الطبري: ١٢/ ٤٦٦.

(٢٧) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ٦١.

فاختيار هذا الصوت كان منسجماً مع الظواهر والوصف الفني لها، فلا شدة ولا قوة، إنما هناك أمل وارتياح ونشوة تحسها وأنت تقرأ هذه المقطوعة اللينة الهادرة كهدير الماء، احتواها صوت السين الذي هو من الحروف (اللينة)، وأنك ((تكاد تسمع من قوله تعالى: والصبح إذا تنفس سقسقة العصفور وصيحة الديك))[٢٨]، واللغة العربية ((بكل مؤثراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح، ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المنفتح أنه بالفعل يتنفس))[٢٩].

المبحث الثالث:

الفاصلة -مكوناتها وعلاقتها بالأصوات:

لعل مصطلح الفاصلة مشتق من نصوص وردت في القرآن: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٣]، فـ((بين كل آيتين فصل تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة))[٣٠]. و﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة الأعراف: ٥٢]، أي ((تفصيل آياته بالفواصل))[٣١]، وهي((كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وسجعة النثر))[٣٢].

وهناك أكثر من فرق بين الفاصلة في القرآن والقافية في الشعر، فمنها أن القافية تتطلب التطابق التام بين عدد من الحروف في آخر كل بيت، على حين أنّ الفاصلة لا تلتزم شيئاً من ذلك فتتحول من نمط إلى آخر[٣٣]، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٧ -٨]، فالفاصلة الأولى ميم والثانية نون.

مكونات الفاصلة:

١. الوقف:

الوقف في اللغة يعني: السكون، والحبس[٣٤]، وفي الاصطلاح: ((قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة

(٢٨) التفسير المبين ٦٩٢.
(٢٩) في ظلال القرآن: ٣٠/ ٦٦.
(٣٠) لسان العرب(فصل).
(٣١) لسان العرب (فصل).
(٣٢) الفاصلة في القرآن: ١٣.
(٣٣) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/ ١٩٢-١٩٥.
(٣٤) ينظر: لسان العرب (وقف).

بِنيَّةِ استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً))[٣٥].

وللوقف أهمية إذ هو بناء الفاصلة، وبه تتجانس القرائن وتتزاوج، وبه تبرز موسيقى الفاصلة، لكي تطرب الأذن لسماعها، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون[٣٦]، كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾[سورة الرعد: ٢٥ -٢٧].

فجمع الوقف بين (الدار) المجرور و(متاع) المنون و(أنابَ) المنصوب.

٢. الإيقاع:

هو ((تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه))[٣٧]، ويعتمد الإيقاع في العربية -في الشكل التقليدي -على مقابلات بين مقاطع طويلة وقصيرة تحوي قافية في أواخر الأبيات[٣٨].

ويحدث الإيقاع في الشعر بإيجاد نسيج منظم من العلاقات الداخلية بين الحركات والسكنات، أما في النثر فيحصل بالموازنة بين العبارات بشكل مستقل أو بين الجمل والعبارات. وهو يمثل الوجه الجمالي للفن الأدبي، وسراً من أسرار التأثير في المتلقي.

والإيقاع الموسيقي في القرآن يتألف من عناصر، هي مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، وتناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة، واتجاهات المد في الكلمات، ونهاية الفاصلة وحروف الفاصلة ذاتها[٣٩].

٣. الرَّوِي:

يمتاز الروي باستقطابه قدرا كبيرا

(٣٥) الإتقان: ١/ ٢٣٣ -٢٣٤.
(٣٦) ينظر: الإتقان: ١/ ٢٨٠ -٢٨١.
(٣٧) دروس في علم أصوات العربية: ١٩٧.
(٣٨) م. ن.
(٣٩) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/ ٢٠٣٩.

من الأهمية، لأنه الحرف الأخير الذي يبقى رنينه، ولذته تدور في أذن المتلقي، ويكون في السجع والفاصلة القرآنية، وهو ((الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد))[٤٠]، وتنسب إليه القصيدة كأن تكون دالية أو تائية[٤١]، ونجده في القرآن قد يتغير إلى ما يماثله صوتياً، كما في سورة المدثر، والقيامة، والإنسان، وغيرها، وإذا كان الحرف ساكناً، يكون ساكناً، أي ينتهي بمقطع مغلق، أو ما يعرف بالقافية المقيدة، ويلتزم نوع الحركة من ضم وفتح وكسر إذا كان الروي متحركاً، بما يسمى بالمقطع المفتوح، أو ما يعرف بالقافية المطلقة.

وجميع الأصوات تصلح لأنْ تكون رويا ((إلا الواو والياء والألف اللواتي يكن للإطلاق، وهاء التأنيث وهاء الإضمار، إذا ما تحرك ما قبلها، وألف الاثنين وواو الجمع إذا ما انضم قبلها))[٤٢].

أما طريقة الوقف على حرف الروي، فبالسكون في غالب الآيات، وبالألف في القليل منها مع المنصوب المنون[٤٣]، كقوله سبحانه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[سورة القمر: ١ -٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن: ٢].

الظاهر أن شيوع السكون مع الروي أو مع الفاصلة فيه وجهان، أولهما: إنّ اللغة العربية تميل إلى المقطع المغلق، والسكون أحد ألوان التخفيف، الذي مالت إليه كثير من اللهجات العربية. ثانيهما: إنّ السكون مع الروي والفاصلة يحققان انسجاماً في الاستراحة والوقوف على الجمال الصوتي الأخاذ، فبالسكون يظهر هذا النغم الموسيقي الخلّاب.

ويعد الجانب الجمالي من أبرز وظائف الفاصلة القرآنية، وآية ذلك أن أغلب أصواتها أجمل الأصوات التي تتصف بـ(الغُنَّة) وهي (النون والميم) لإظهار الجانب الفني الحسن لنهاية رحلة صوتية

(٤٠) كتاب القوافي(الأخفش): ١٠.
(٤١) ينظر: التعريفات(الجرجاني): ١٥١.
(٤٢) كتاب القوافي: ١٠.
(٤٣) ينظر: من أسرار اللغة: ١٩٣ -١٩٤.

تتخللها أمواج تطرب الأذن لسماعها، فإذا بالموجة الأخيرة تكون أكثر وقعاً، لذلك جاء الاهتمام بها فكأنها دار استراحة صوتية، يزاد على ذلك أن هذه الأصوات فيها سمة الخفة وعدم الصعوبة، فهي الأقرب للصوائت في انطلاقها لذلك سميت بـ(أشباه أصوات اللين) لكي تكون مناسبة للاستراحة والوقف، ويلاحظ بأن (الالف) يأتي بالمرتبة الثانية من كم الاستعمال في الفاصلة.

فالفاصلة ((صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب؛ وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها؛ أو بالمد))[٤٤]، فالفاصلة تحمل صفة التطريب والتناسب الصوتي معاً.

فقد لوحظ أن عدد النونات والميمات في السور العشر الأولى من القرآن الكريم يزيد كل منهما عن عشرة آلاف[٤٥]، فبالإحصاء الرياضي لفواصل سورة البقرة (٢٨٦) فاصلة، تنتهي (١٩٣) بصوت (النون) مع تبادل لصوت (الميم)، وهذا التقارب بين الصوتين جاء من جهة الصفة لا المخرج، فالصوتان مجهوران، وأقرب الصوامت إلى الصوائت بسبب وضوحهما السمعي.

لقد أكد القرآن تلك القرابة بين صوتي(الغنة): الميم والنون -والصوائت باقترانهما مع (الواو والياء والألف)، نحو: الظالمين -يعملون -يعلمون- أليم-العظيم -الرحيم -تكذّبان- جانّ-حسان، وغير ذلك. وهذا يطّرد في النصوص القرآنية، فيكون حرف (النون) في الروي أكثر شيوعاً في الفاصلة القرآنية ثم الميم.

فاقتران الصوائت مع النون والميم يزيد من المسحة الجمالية بمجاورة صفة الغنة التي فيهما، والى ذلك أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى أن العرب ((إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينوَّن وما

(٤٤) تاريخ آداب العرب: ٢/ ٢٢٧.

(٤٥) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٥٤.

لا ينوَّن، لأنهم أرادوا مد الصوت))[٤٦]، فكان (النون) أنسب الأصوات ليحمل الهيكل الجمالي للفاصلة، فهو صوت فيه((رقة وعصير أنفاس وألفة، لأرشق بداية تبدأ الألفاظ بها، ولألطف نهاية. ما جاورت النون حرفاً إلا وكان له من سنا أناقتها طيف خفة ورشاقة))[٤٧].

وللألف حصة كبيرة أيضاً في فواصل القرآن فقد ورد روياً في (٢٦٧) فاصلة من فواصل (١٢) سورة[٤٨]، فهو أكثر انفتاحاً في مجرى الهواء من الواو والياء، لعدم اقتراب الشفتين، وعدم رفع اللسان، و((أمكن حروف اللين))[٤٩]، و((أشد امتداداً وأوسع مخرجاً))[٥٠].

الخاتمة:

حقق الاسلوب القرآني عنصر الجمال من ناحية تأثيره العاطفي والنفسي في المتلقي، أيما تأثير، وتحريكه إياه لمواطن الذوق والاستخراج لمبنى الصورة الجمالية ومعناها، على وفق قدراته، بل يجعله يرتقي أكثر فأكثر في سلم النقد الإبداعي لوجود الثراء في الصورة القرآنية.

لقد حقق النص القرآني أقصى درجات الجمال الصوتي في التناسق بين أجراس اللفظة، والإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، والحرف الواحد يمسك الكلمة والآية، وهذا السر في إعجاز جملته.

ويتمثل الجمال في القرآن الكريم باستعماله الدقيق للأصوات، من حيث المخارج الصوتية، والصفات، بحسب الموضوع والمقام، مما يعد عاملاً مساعداً في إضفاء جو مقصود من شدة أو لين، ليجعل المتلقي يعيش تلك الصورة من دون عناء، وفي جاذبيته للفكر والعاطفة.

إنّ تعجب العرب ووقوفهم تجاه القرآن موقف المتحير من نظمه وأسلوبه، إنما جاء بسبب أنه فن جديد فليس هو شعراً ولا نثراً، إنما هو قرآن تحرر من قيد القافية وأتى بالفاصلة القرآنية التي تتحول

(٤٦) الكتاب: ٤/ ٢٠٤.
(٤٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها (دراسة حسن عباس): ١٦٩.
(٤٨) وردت في سور: طه، النجم، الطلاق، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، والعلق.
(٤٩) المقتضب: ١/ ٢١٠.
(٥٠) سر صناعة الأعراب: ١/ ٦٢.

من نمط إلى آخر وتوافقها مع الدلالة والسياق.

ويعد الجانب الجمالي من أبرز وظائف الفاصلة، وآية ذلك أن أغلب أصواتها من أجمل الأصوات العربية التي تتصف بـ(الغُنّة) وهما (الميم والنون)، فكأنها محطة استراحة صوتية، يزاد على ذلك أنها تتمتع بسمة الخفة، فهي الأقرب للصوائت لذلك سميت بـ(أشباه أصوات اللين) لكي تكون مناسبة للاستراحة والوقف. ويلاحظ أن (الألف) يأتي بالمرتبة الثانية من كم الاستعمال في الفاصلة القرآنية، وتقترن هذه الأصوات مع (الواو والياء والألف)، ليزيد من المسحة الجمالية بمجاورة صفة (الغُنّة)، ويكون حرف (النون) في الروي أكثر شيوعا من حيث الإحصاء الرياضي في الفاصلة، ثم الميم، ثم الألف، وهذا الأخير أكثر انفتاحاً من الواو والياء.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

❖ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(ت٩١١ هـ)، ط١، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦م.

❖ أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

❖ بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٧م.

❖ البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، ٢٠٠٢م.

❖ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت.

❖ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط٣، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٣م.

❖ تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت٨٠٨هـ)، دار الكتب، بولاق، د. ت.

❖ التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط٢، دار الشروق، قم، ١٤١٢هـ.

❖ التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

❖ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط١، دار طيبة،، ١٩٩٩م.

❖ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القران)، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (ت٣١٠ هـ) تحقيق احمد محمد شاكر،، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

❖ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران) محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ط٣، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

❖ التفسير المبين، محمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٨م.

❖ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

❖ جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

❖ دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيو، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث، تونس، ١٩٦٦م.

❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تصحيح الشيخ محمد عبده وآخرين، ط ٤، دار المنار، مصر، ١٣٦٧ هـ.

❖ سر صناعة الأعراب، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.

❖ الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير،، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

❖ الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م.

❖ العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ). تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

❖ الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط٢، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٠م.

❖ فلسفة الجمال والفن، د. فايزة أنور أحمد شكري، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م.

❖ فن القول، أمين الخولي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

❖ في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.

❖ في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٥، ١٩٦٧م.

❖ كتاب القوافي، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٧٠.

❖ كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت.

❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❖ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (ت٧١١هـ) ط١، دار صادر، بيروت، د. ت.

❖ مدخل إلى علم الجمال، د. نبيل رشاد سعيد، ط١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١م.

❖ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تصحيح فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

❖ مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ط٦، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥م.